مجلة أنثروبولوجية الأديان المجلد 16 العدد 02 بتاريخ 2020/06/15

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

مقصدية اللغة الصوفية– أشعار وحكم أبي مدين الغوث أنموذجا

د.حمرة حسني[1]

Dr Hamra Housny

جامعة الجلفة،

University of Djelfa

housnyhamra13@gmail.com

تاريخ الارسال: 2020/03/01 تاريخ القبول: 2020/03/25

ملخص:

لقد ظل الخطاب الصوفي لفترة طويلة على الهامش، باعتبار أن أطره المعرفية المتعارف عليها تختلف عن شعرية الأدب القديم الذي نسميه "الأدب المعياري" (عمود الشعر)، فهذا الأخير معروف بخصوصياته(حضور العقل، وحضور الإيديولوجية، المناسبة، الوضوح)، أما الخطاب الصوفي فهو على عكس شعرية "الخطاب المعياري"، لأن المتصوفة أهل باطن يعتمدون على الذوق والقلب، مما جعل بنية الخطاب الصوفي تقوم على التبدل والنحول والتغير لأنها تصدر عن معرفة حدسية وليدة لحظتها في حين أن بنية الثقافة الرسمية تقوم على الثبات والاستقرار والشمولية، كما أن أدب المتصوفة يتسم بالغموض وينبني على مفهوم الخرق والانزياح والانفتاح والتحول والتأويل.

فرغم كل هذه المميزات التي تجعل من الخطاب الصوفي محل اهتمام الدارسين والنقاد والقراء، فإنّه بقي لمدة طويلة أقل اهتمام بسبب أن الرؤيا فيه أقوى من الرؤية.

لكن بمرور الوقت أصبح الخطاب الصوفي يفرض نفسه وقابل لكل القراءات خاصة في ظل المناهج النقدية الحديثة والمعاصرة باعتباره يؤمن بالآخر وبالاختلاف معا، مما جعله يكرس حضوره الفني والجمالي ليتحول من الهامش إلى الاهتمام (المركز).

لذلك عدّت لغة الخطاب الصوفي لغة رمزية مجازية ذات دلالات كثيرة قابلة لأكثر من تأويل تتميز بالتخيل والتمثيل والتشبيه، لهذا فهي عينة بلاغية خصبة.

---

[1] المؤلف المرسل: حمرة حسني، housnyhamra13@gmail.com

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

حيث أن المتصوفة استخدموا لغتهم واستعاراتهم إشارات ودلالات تختلف عن استعارات ودلالات الأدب والفلسفة والسياسة.

ويحاول مقالنا الموسوم بـ"في مقصديةا للغة الصوفية في أشعار وحكم أبي مدين الغوث "، الرجوع إلى التجربة الصوفية المشكلة للغة التصوف بوصفها تكونت من منظور صوفي خاضع لسلسلة من الاستعدادات والممارسات الخاصة، أي النص يتكون بعد إجهاد واستعداد روحي على رأي ابن عربي.

الكلمات المفتاحية: مقصدية، اللغة، الصوفية، أشعار، حكم، أبو مدين الغوث.

Abstract:

Sufi discourse has remained for a long time on the sidelines, considering that its generally accepted frameworks of knowledge differ from the poetry of ancient literature which we call "normative literature". The latter is known for its peculiarities (the presence of reason, the presence of ideology, occasion, clarity), As for Sufi discourse, it is in contrast to the poetry of “normative discourse”. Because the Sufi mystic people depend on taste and heart, which made the structure of Sufi discourse based on change, transformation, and change because it comes from intuitive knowledge generated from its moment while the structure of formal culture is based on stability, stability and inclusiveness. Also, the Sufism literature is ambiguous and is based on the concept of displacement, openness, transformation and interpretation.

Despite all of these characteristics that make Sufi discourse of interest to scholars, critics, and readers, it has long remained ignored because the vision in it is more than just a vision. The language of Sufism, this alphabet, which is read only by those who see things with the heart, it represents an important space that should be carefully considered for everyone who intends to define the semantic and cognitive textual approach, in its courtyards, the Knights of Sufism fell as martyrs of their ideas, and their visions of customary taste because of this language, some have also been accused of heresy and others with disbelief and disobedience to religion.

But through time, the Sufi discourse imposed itself to all readings, especially in light of modern and contemporary critical approaches, as it believes in the other and in difference together. This made it dedicate its artistic and aesthetic presence to be from a margin to an interest (center).

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

In addition, the Sufis used their language and metaphors as signs and indications that differ from the metaphors and meanings of literature, philosophy and politics.
This text refers to the Sufi experience that constitutes the language of Sufism because the language was formed from a Sufi perspective subject to a series of special preparations and practices; the text is made after fatigue and spiritual preparation for any Arab son.
Keywords: Muqdasiyah, language, Sufism, poems, rule, Abu Madian Al-Ghouth.

أولا– في لغة الصوفية:

تعدّ"اللغة الصوفية" إشكالية منهجية و معرفية مطروحة منذ القدم عند الباحثين والمحققين القدامى و المحدثين، باعتبارها الممر الحتمي و السبيل الوحيد المفضي إلى عملية قراءة النص الصوفي، و تفكيك بنيته الدلالية.و لغة الصوفية بالنسبة لي هي أحد الفضاءات العلمية التي اجتذبتني بشدة، و أسرتني في حبائلها، طيلة السنوات التي بذلتها في تحضير رسالة الماجستير في موضوع "الحضرة" أو الحضور في الشعر الشعبي الجزائري ذي النزعة الصوفية، على تفاوت و تباين مستوى اللغتين (في الشعر الشعبي الصوفي و الشعر الصوفي الفصيح).

و معروف عند الصوفية منذ القدم سعيهم الدؤوب إلى تأسيس مفردات لغوية خاصة، يضفون عليها شحنات دلالية متميزة، تترجم حقيقة رآهم و تجاربهم و أذواقهم.

و شيئا فشيئا تأسس لدى الصوفية تراثا لغويا خاصا، حاول الكثير من الدرسين بجمع شتاته و سبر أغواره، و فك رموزه، مستنطقين تراثهم الفكري (شعرا و نثرا)، هنا يمكننا التذكير بتلك الجهود التي تتبعت هذا التراث اللغوي جمعا و تحقيقا و تصنيفا و شرحا، لعل من أبرز تلك الجهود و أجودها، نذكر على سبيل الذكر لا الحصر، تلك القواميس المتخصصة و الدراسات المتأنية التي نهضت بهذا العبء الكبير، و منها:

- اصطلاحات الصوفية، لكمال الدين عبد الرزاق القاشاني (ت 730 هـ).
- ابن عربي و مولد لغة جديدة للدكتورة سعاد الحكيم.
- المعجم الصوفي للدكتورة سعاد الحكيم
- النور من كلمات أبي طيفور السهجلي– تحقيق عبد الرحمان بدوي (ضمن كتاب: شطحات الصوفية).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- سر الظرف المودع في الحرف – عبد الكريم الجيلي (ت 826 هـ).
- رسالة ابن عربي: اصطلاح الصوفية.
- ألفاظ الصوفية و معانيها للدكتور حسن الشرقاوي....

و لغة الصوفية، هذه الأبجدية التي لا تقرأ عند السالكين إلا بعين القلب، تمثل فضاء مهما ينبغي الوقوف عنده بتأني لكل من يروم مقاربة النص الصوفي دلاليا و معرفيا، ففي ساحاتها سقط فرسان الصوفية شهداء أفكارهم و رآهم الذوقية العرفانية، وعلى أسوار حروفها نكل بالحلاج وصلب في النهاية، عند محاولته المبكرة توليد لغة صوفية جديدة، و بسبب هذه اللغة أيضا اتهم البعض بالزندقة و رمي البعض الآخر بالكفر و المروق عن الدين. و من هؤلاء نذكر: محي الدين بن عربي (شيخ الصوفية الأكبر و الكبريت الأحمر)، العفيف التلمساني، النفري،.....

و أزمة اللغة عند الصوفية تترجمها تلك التضحيات الكبرى التي قدموها في مسارهم، نحو قرار المعجم الصوفي الخاص بهم، باختصار شديد نقول أن تلك اللغة هي التي جرفتهم إلى الممنوع العقائدي (الحلول، الاتحاد، ...) و من ثم إلى مصارعهم، على رأي يوسف زيدان :<< عانى النص الصوفي، منذ عصر التدوين، من الاصطدام بحائط اللغة، فاللغة العادية لا تفي بالتعبير عن عالم الصوفية ذي الخصوصية الشديدة، و قد بلغت حدة الاصطدام باللغة، قدرا أودى بحياة بعض الصوفية و ساقهم إلى نهايات تراجيدية، و أشهر هؤلاء: الحسين بن منصور الحلاج المقتول سنة 304 هـ>> (زيدان، 2002، صفحة 39)، و الشيخ عبد القادر الجيلاني نفسه حينما سئل عن أمر الحلاج،أجاب بكلام يبين بجلاء أزمة اللغة التي عثر فيها الحلاج قائلا : <<طار واحد من العارفين إلى أفق الدعوة بأجنحة "أنا الحق"،رأى روض الأبدية خاليا من الحسيس والأنيس. صفّر بغير لغته تعريضا لحتفه>> (زيدان، 2002).

ثانيا– التجربة الصوفية وأزمة اللغة:

معروف عن الصوفية منذ القدم، سعيهم إلى تأسيس مفردات لغوية، يضفون عليها شحنات دلالية خاصة، تترجم خلاصة رآهم الذوقية و تجاربهم العرفانية، و في هذا الإطار أفرغ الصوفية الدال (السماع) من معناه المعجمي، و تم شحنه بدلالة ذات عرفاني أو ميتافيزيقي أملتها فلسفتهم الفكرية و الروحية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الأحوال والمقامات، الاتصال والانفصال، العروج والفناء، المجاهدة والمشاهدة، السكر والوجد... كلها رياضات روحية وتجليات إلهية تنزل على قلب السائر إلى الله من أهل الطريق. وهي من المفاهيم الجوهرية للتصوف، بل هي جوهر المفاهيم الصوفية على الإطلاق.

فالسير إلى الله هو ديدن كل صوفي، والوصل أو الوصول هو أسمى الأماني وأشرف الأمالي التي يطمح إليها هذا العاشق الصوفي المتيم بحب الله، وفي غمار هذه الرحلة الروحية إلى منابع النور الإلهي، تواتر على الصوفي التجليات و النفحات و ترد على قلبه الحقائق و الإشارات و المعاني الرقيقة: "تلك الحقائق التي تلوح لقلوب أتقياء هذه الأمة في ارتحالهم الذوقي لمنابع النور الإلهي، سيرا بأقدم الصدق و التجرد عن الأكوان، وطيرا بأجنحة المحبة لاختراق سماوات الأحوال والمقامات... حتّى تحط عصا الترحال والسفر عند خيام القرب من الله (زيدان، 2002، صفحة 05)، والإفصاح عما يلاقي من وجد وشوق واحتراق حيث سيجد الصوفي أن اللغة العادية عاجزة عن ترجمة هذه المعاني بدقة وعند هذه الحالة تظهر أزمة اللغة أو أزمة التعبير عن (التلقي)1.

ولتجاوز هذا الإشكال لجأ الصوفي إلى التهويل والمبالغة في التعبير، من خلال توليد مصطلحات جديدة، أو تحميل الألفاظ العادية شحونات دلالية موغلة في العرفانية والغموض. وهوما يعبر عنه كثير من الدارسين باسم شطحات الصوفية.

وأصبحت هذه اللغة الخاصة التي تترجم الصوفية بوساطتها تجاربهم ورآهم تقرأ تحت عبارات مختلفة منها: لغة الأذواق، لغة الإشارات، لغة المواجيد، اللغة المشفرة، لغة الصوفية الخاصة، ومن هنا أخذ مسار التراث اللغوي الصوفي في تطور مطرد جعلته يتأسس بعد ذلك كمعجم لغوي مميز له ماهيته وحدوده ومفاتيحه.

إذا فالصوفي عايش التجربة الصوفية بكل ما فيها من إشعاعات عرفانية، وأراد بعد ذلك أن يترجم هذا الانفجار الوجداني : <<فصار عليه أن يؤسس تراثا لغويا صوفيا، وأن يجد مخرجا يتجاوز به أزمة اللغة التي تحول دول التعبير عن حقيقة الحال الذي يعاينه>> (زيدان، 2002، صفحة 21).

و في هذا الإطار دائما يذكر د.صلاح فضل: << يبدو أن الشعراء الصوفيين هم أبرز من مارس إعادة التشفير اللغوي في الشعر قديما، عن طريق نزل الدلالات الأولى الحسية و الدنيوية لكلمات تصل بمجالات الجنس و الخمر و حالات النفس لإدراجها في أنساق رمزية جديدة مرتبطة بمواجدهم و عالمهم>> (فضل، 1988، صفحة 288). و في سياق رمزية الشعر الصوفي<<تعددت آراء الباحثين، فذهب رينولدن

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يكولسون إلى أنهم اصطنعوا الأسلوب الرمزي حيث لم يجدوا طريقا آخرا ممكنا يترجمون به عن رياضتهم الصوفية. فالعلم بخفايا المجهول الذي ينكشف في رؤى جذبية، قلما يحتاج إلى الادعاء بأنه ليس في الطوق تبيانه دون اللجوء إلى صور و شواهد منتزعة من عالم الحس، و تكشف هذه الصور عن معان و توحي بصور أعمق مما يبدو على ظاهرها ... و ما يقال بعد ذلك من أن الصوفية أهابوا بالأساليب الرمزية، رغبة منهم في الاستسرار أو خوفا من السلطة العامة يمكن أن يعد صحيحا في ذاته، ... و لا يخفى أن بعض الصوفية الواجدين.... قد لقوا حتفهم جزاء خروجهم من الاستسرار و بوحهم بشتى من أسرار العرفان >> (نصر، 1998، صفحة 500).

و قد اعترف الصوفية أنفسهم بقصور اللغة في التعبير عن رؤى التصوف و أذواقه، أو نقلها نقلا حقيقيا إلى الآخر: <<... أما اللغة فلا سبيل للتعبير عنه (يفي الاتحاد)، فاللغة أرضية، و الاتحاد سماوي، فمن وصل للحال استغنى عن اللغة من حيث أداة توصيل..>>((زيدان، 2002، صفحة 42)، و من ذلك قول بعضهم: الاتحاد حال لا يعبر بلسان المقال، و قديما قال النفريّ مبينا عدم قدرة اللغة على الإحاطة بالتجربة الصوفية: <<كلما اتسعت الرؤية ضاقت العبارة>> (زيدان، 2002، صفحة 43).

لقد ظل الخطاب الصوفي لفترة طويلة على الهامش، باعتبار أن أطره المعرفية المتعارف عليها تختلف عن شعرية الأدب القديم الذي نسميه "الأدب المعياري" (عمود الشعر)، فهذا الأخير معروف بخصوصياته(حضور العقل، وحضور الإيديولوجية، المناسبة، الوضوح)، أما الخطاب الصوفي فهو على عكس شعرية "الخطاب المعياري"، لأن المتصوفة أهل باطن يعتمدون على الذوق والقلب، مما جعل بنية الخطاب الصوفي تقوم على التبدل والنحول والتغير لأنها تصدر عن معرفة حدسية وليدة لحظتها في حين أن بنية الثقافة الرسمية تقوم على الثبات والاستقرار والشمولية (بوزيان، صفحة 67).

كما أن أدب المتصوفة يتسم بالغموض وينبني على مفهوم الخرق والانزياح والانفتاح والتحول والتأويل.

فعلى الرغم منكل هذه المميزات التي تجعل الخطاب الصوفي محل اهتمام الدارسين والنقاد والقراء، فإنّه بقي لمدة طويلة أقل اهتمام بسبب أن الرؤيا فيه أقوى من الرؤية.

لكن بمرور الوقت أصبح الخطاب الصوفي يفرض نفسه وقابل لكل القراءات خاصة في ظل المناهج النقدية الحديثة والمعاصرة باعتباره يؤمن بالآخر وبالاختلاف معا، مما جعله يكرس حضوره الفني والجمالي ليتحول من الهامش إلى الاهتمام (المركز).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

لذلك عدّت لغة الخطاب الصوفي لغة رمزية مجازية ذات دلالات كثيرة قابلة لأكثر من تأويل تتميز بالتخيل والتمثيل والتشبيه، لهذا فهي عينة بلاغية خصبة، حيث أن المتصوفة استخدموا لغتهم واستعاراتهم إشارات ودلالات تختلف عن استعارات ودلالات الأدب والفلسفة والسياسة، حيث يقول إمبرتو إيكو <<تشكل هذه الاستعارات في تركيبها وتكوينها سياقا خاصا فيه مفردات وجمل متميزة فتصبح لكل مفردة دلالة ولكل جملة حجة>> (إيكوا، 1996، صفحة 21).

وبهذا كي ندرس النص الصوفي ولغته يجب الرجوع إلى دراسة تكون المفردة والجملة المكونة للنص أي يجب الرجوع إلى التجربة الصوفية المكونة للغة التصوف لأن اللغة تكونت من منظور صوفي خاضع لسلسلة من الاستعدادات والممارسات الخاصة، أي النص يتكون بعد إجهاد واستعداد روحي كما قال ابن عربي. لأن الكلمة أو الشيء عندهم <<لا يماثلان الدال والمدلول، بل هما يستمدان معناهما من خلال التمثيل الثقافي>> (زكرياء، 1983، صفحة 180) وهذا التمثيل هو الذي يطابق الدال والمدلول بالكلمة والجملة واللغة الصوفية خاصة بالمتصوفة تأتي لاحتواء التجربة الصوفية، <<فلا تتحقق الكتابة إلا لأنها تحمل في داخلها إمكانية القراءة>> (رامي، 1987، صفحة 25).

وكما قال الدكتور حميدي خميسي:<<إن اللغة لدى المتصوف، لم تعد شكلا يحمل مضمونا أو وعاء يحمل محتواه، بل إن الشكل يصبح هو المضمون، والمضمون يصبح هو الشكل، وتصبح الكتابة واللغة عند المتصوفة هاجسا يعبر المتصوف من خلاله عن توتره وقلقه، ويريد من خلال هذه اللغة أن ينفذ إلى ما وراء المألوف والمعتاد، إنه ينطلق من الحياة ولكن ليس للعودة إليها إنما للاندفاع نحو المطلق والدائم والمدهش>> (خميس، 2005، صفحة 79،80) إن نظرة الصوفيين إلى اللغة نظرة مختلفة تماما عن نظرة الأدباء أو الكتاب، فبالنسبة لهم اللغة تعجز عن حمل معاني وحقائق الكشوفات الإلهية والخوارق والكرامات والأمور الغريبة التي تحصل لهم، كل هذا دفعهم إلى التخاطب بالرموز والإشارات الخاصة بالمتصوفين فقط، وطالت رموزهم كل شيء حتى أصبحت اللغة هي الرمز في ذاته، وكل حرف يمثل رمزا معينا، وهكذا نجد الرمزية شاعت شيوعا كثيرا في كتابات الصوفية نثرها وشعرها، وقد يكون الصوفية مضطرين إلى استعمال الرمز، لأن الحاجة اضطرتهم إلى ذلك، لأنهم يعبرون عن معان ومشاهد وإحساسات نفسية لا عهد للغة العادية ولا بالتعبير عنها.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وبلغ الشيخ أبو مدين3 بفضل عمله واجتهاده وورعه قمة عالية في علمي الشريعة والحقيقة، ووفق في الجمع بينهما، فأصبح بذلك فقيها، صوفيا له مكانة محترمة بين العلماء والمؤرخين، أليس هو القائل (الأفندي، 1978، صفحة 43)

ما لذَّةُ العَيْشِ إلاَّ صُحبةُ الفُقَرَا	هُمُ السَّلاطينُ وَالسَّادَاتُ وَالأُمَرَا
فاصْحَبْهمْ وَتأدَّبْ في مجلِسِهِمْ	وَخلَّ حظَّكَ مهما خلَّفُوكَ وَرَا
وَاسْتَغنمِ الوَقتَ وَاحضرْ دَائماً مَعَهُمْ	وَاعلمْ بأنَّ الرِّضا يخُصُّ مَنْ حضرَا
وَلازِمْ الصمتَ إلاَّ إنْ سُئلتَ فقلْ	لا علمَ عنْدِي وَكُنْ بالجَهْلِ مُسْتَتِرَا
وَلا ترَ العيبَ إلاَّ فيكَ مُعتقداً	عيْباً بدَا بيِّناً لكنَّهُ اسْتَترَا
وَحُطَّ رَأسَكَ وَاسْتغفْرْ بلا سببٍ	وَقُمْ على قدَمِ الإنصافِ مُعْتذِراً
وَإنْ بدَا منْكَ عَيبٌ فاعْترِفْ وَأقِمْ	وَجهَ اعتذارِكَ عما فيك مِنكَ جَرَى
وَقلْ عُبيدُكُمْ أوْلى بصفحكُمُ	فسَامحُوا وَخذُوا بالرِّفقِ يا فُقَرَا

لذا، عدّه البعض مدرسة يجب الأخذ بمنابعها ومعالمها إذ كان لها دور فعال في استقطاب الحركة الصوفية الكبرى التي شهدها المغرب العربي في بداية القرن السابع الهجري والتي تخرج منها علماء أجلاء كابن عربي والإمام الشاذلي، وهذا بالرغم من أن تصوفه كان خاصا به، أي لم يتأثر بالعلوم الكلامية والفقهية التي كانت منتشرة في عصر الموحدين، بل كان إماما فقيها وشيخا صوفيا سنيا، وهذا ما قاله الشيخ الأزهر "عبد الحليم محمود" في كتابه "شيخ الشيوخ أبو مدين الغوث": <<تثقف أبو مدين كأحسن ما يكون المثقف الذي تثقف من مصادر أصلية، القرآن الكريم، السنن، الأحياء، الرعاية، الرسالة العشيرية إذا كان يصاحب في دراسته السنة النبوية الحادث بن أسد المحاسبي، حجة الإسلام الغزالي، الإمام القشيري ودرس الفقه ودرس التفسير>> (محمود، 1985، صفحة 93).

وللتعبير عمّا جاءت به قريحة الشيخ من مؤلفات ومصنفات شعرية أو نثرية ارتأينا أن نقف على لغته الصوفية لنبرز مذهبه أو بتعبير أدق معجمه الفني والمعجم الصوفي، أو المعجم الوظيفي، ويقصد بذلك المعجم الذي ينتقي منه المتصوفة ألفاظهم للدلالة على مقامات وأحوال التصوف، ويستدعي ذلك استعمال لغة اصطلاحية وظيفية تسمي الأشياء بأسمائها، ولا تجنح إلى الاستعارة إلا من أجل التلميح، وعند الضرورة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

الملحة على اعتبار أن اللغة موضوع بعينه كالفلسفة أو علم الكلام أو الفقه أو النحو (جبار، 2002، صفحة 10).

فالمقام كما يعرفه الطوسي معناه مقام العبد بين يدي الله عز وجل فيما يقام به فيه من العبادات والمجاهدات والرياضات والانقطاع إلى الله (الطوسي، 1960، صفحة 45).

قال الله تعالى: ﴿**ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد** ﴾(من سورة إبراهيم/ الآية 14)، وقال: ﴿**وما منا إلا له مقام معلوم**﴾(منسورة الصافات/ الآية 164.

أما الأحوالهو ما يحل على القلوب أو تحل به القلوب من صفاء الأذكار، وقد قيل الحال هو الذكر الخفي استنادا إلى قوله صلى الله عليه وسلم "خير الذكر الخفي" رواه الطبراني" (الطوسي، 1960، صفحة 45). والحال أو الأحوال لا تتم عن طريق العبادات والرياضات كالمقامات، أنما هي مثل المراقبة، المحبة، القرب، الخوف، الرجاء، الشوق، والأنس والمشاهدات، والطمأنينة أي حالات نفسية يمر بها المتصوف (الرحمن، 1978، صفحة 28). فالمعجم الصوفي هو معجم خاص بالمتصوفة، ويتضمن أحوالهم التي يعبرون بها والمقامات التي يسلكونها، ونحاول فيما يلي إبراز بعض النماذج من نثر الشيخ أبي مدين وما تتضمنه من مصطلحات صوفية يقول مثلا: "من نسب لحاله أو مقاما، فهو بعيد عن طرقات".

في هذه الحكمة وظّف مصطلحين صوفيين مقام وحال.

ثم يقول "شاهد مشاهدته لك ولا تشهد بمشاهدته له"، لقد وصف أبو مدين لفظة الفعل "شاهد"، وهذا المصطلح الصوفي متداول بين المتصوفة، المشاهد<<ما يكون حاصر قلب الإنسان وهو ما كان الغالب عليه ذكره حتى كان يراه وإن كان غائبا به عنه>> (الرحمن، 1978، صفحة 86).

يقول الشيخ في بعض حكمه: "المحبة الأنس بالله والشوق إليه". لقد وظف مفردتين هما: "المحبة" و"الشوق" وهما مصطلحين صوفيين، <<فالمحبة هي حالة شريفة، شهد الحق سبحانه بها للعبد، وأخبر عن محبته للعبد، فالحق سبحانه يوصف بأنه يحب العبد، والعبد يوصف بأنه يحب الحق سبحانه>> (القشيشري، 1972، صفحة 328).

فالمحبة عند الصوفيين هي محبة الحق سبحانه للعبد مدحه له وثناءه عليه بالجميل، فيعود معنى محبته له على هذا القول إلى كلامه، وكلامه قديم" (نفسه) . "وأما الشوق اهتياج القلوب إلى لقاء المحبوب، وعلى

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قدر المحبة يكون الشوق" (القشيشري، 1972، صفحة 329). وذلك لأن الشوق همزة المحبة، ومعنى هذا الكلام أن الله تعالى لا يوصف بالشوق وإن وصف بالمحبة.

كما وظف الشيخ أبو مدين مفردتين في إحدى حكمه إذ يقول: "اجعل الصبر زادك والرضا مطيتك، والحق مقصدك ووجهك" وهما المصطلحين الصوفيين: الصبر"التباعد عن المخالفات، والسكون عند تجرع غصص البلية، وإظهار الغنى مع حلول الفقر بساحات المعيشة (القشيشري، 1972، صفحة 184). و"الصبر هو الاستعانة بالله تعالى" (نفسه).

يقول تعالى: ﴿**واصبرو ما صبرك إلا بالله**﴾ (من سورة النحل/ الآية 127)، فالصبر ،كما قال أحدهم:<<حسن النفس في موضع العبودية من الصبر، مع نفي الجزع لأن ضد الجزع ، فإذا قلت: نفى العبد الجزع فهو في مقام العبودية من الصب>> (المحاسي، 2000، صفحة 171). أما الرضا أن <<يبذل الإنسان جهده ليصل على ما يحبه الله ورسوله، ولكنه من قبل الوصول إليه، وفي أثناء محاولاته للوصول إليه مطمئن إلى النتيجة راض بها>> (الغزالي، 1996، صفحة 47) فالرضا "باب الله الأعظم، وجنته الدنيا" (الطوسي، 1960، صفحة 57) وهو أن يكون قلب العبد ساكنا تحت حكم الله عز وجل، لقوله تعالى: ﴿"رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾ (من سورة آل عمران/ الآية 119).

كما وظف لفظة الفقر في قوله: "الفقر فقر ما دمت تستره، فإذا أظهرته ذهب نوره" (الرحمن، 1978، صفحة 331)

وهي مصطلح صوفي متعارف عليه عند جميع المتصوفة فالفقر كما قال بعضهم:<<حقيقته أن لا يستغني إلا بالله تعالى، أي الفقر لله ما دمت تستره بينك وبين الله، لأنه من أشرف الحالات، ومن أعز المقامات، ومن تظاهر بفقره ذهبت عنه الأنوار، وبقي في الظلام "فالفقر يورث الرضا إذا تحقق العبد فيه>> (القشيشري، 1972، صفحة 272). فالفقر: <<شدة الطمع، وكثرة تذكرك ما فاتك من قبيح الجزع، فمن حل هذا المحل حل بالخسران والندم، إذ قلبه معلق بغائب لا يدركه، ويطمع بلبسة مذلة>> (المحاسي، 2000، صفحة 16) كما وصف الشيخ أبو مدين مفردة "المراقبة" في حكمته التالية: "بالمحاسبة يصل العبد إلى المراقبة" وهي مصطلح صوفي.

فالمراقبة حال شريف لقوله تعالى: ﴿**وكان الله على كل شيء رقيبا**﴾(من سورة الأحزاب / الآية 52).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

فبمحاسبة النفس في فعلها يرتفع العبد إلى حضرة القدس فيرى الحق حاضرا فيراقبه حق المراقبة، فالمراقبة <<دوام القلب بعلم الله عز وجل في سكونك وحركتك علما لازما للقلب بصفاء اليقين وكشف غطاء حجب الظلم، غير قاطع عن النظر بمشاهدة الغيب>> (المحاسي، 2000، صفحة 196) ويقول بعضهم: <<عليكم بحفظ السرائر فانه مطلع على الضمائر>> (الطوسي، 1960، الصفحات 58-59). فالمراعاة تورث المراقبة، والمراقبة تورث حفظ السر والعلانية لله تعالى، فعلى العبد ألا يطالع أحدا، ولا يراقب غير ربه.

كما وظف كلمة الزهد في الحكمة التالية قائلا: "الزهد: العزوف عن الدنيا والإعراض عنها لحقارتها وتركها لاستصغارها وهوانها"، والزهد مصطلح صوفي وهو <<مقام شريف، وهو أساس الأحوال الراقية، والمراتب السنية، وهو أول قدم القاصدين إلى الله عز وجل... لأن حب الدنيا رأس خطيئة والزهد في الدنيا رأس الخير وطاعة>> (الغزالي، 1996، صفحة 47).

) فالزهد :<<متفاوت في قلوب الزاهدين، فكل رجل منهم زهده على قدر معرفته، ومعرفته على قدر عقله، وعقله على قدر الإيمان. فرجل استولى على قلبه وهمه كشف علم الآخرة، ونبه التصديق على القدوم عليها، وتبين لقلبه عوار الدنيا، ولدته بصائر الهدى على سوء عواقبها، ومحبة اختيار الله على تركها، ومرافقة الله عز وجل في العزوف عنها، فرحلت الدنيا عن قلب هذا الموفق>> (المحاسي، 2000، صفحة 160)

كما وظف مفردة التوكل، يقول الشيخ أبو مدين: "التوكل توكل بالظنون واستبدال للحركة بالسكون" فلفظة التوكل هي مصطلح صوفي، وهو مقام شريف، فالحق هو الضامن لأرزاق العبد والتصديق له، فإذا قال للشيء كن فيكون، فكل شيء من المتحركات والساكنات في أقطار الأرض هي ملك للقهار لقوله تعالى: ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾ (منسورة الطلاق / الآية 03) فالتوكل هو الاعتصام بالله تعالى (القشيشري، 1972، صفحة 162)"فالتوكل محله القلب" والحركة بالظاهر لا تنافي التوكل بالقلب بعدما تحقق العبد أن التقدير من قبل الله تعالى، وإن تعسر الشيء فبتقديره، وإن أتقن الشيء فبتيسيره (القشيشري، 1972، صفحة 163) لقوله تعالى: ﴿وعلى الله فليتوكل المتوكلون﴾ (من سورة إبراهيم / الآية 12).

فالتوكل هو <<الاسترسال مع الله تعالى على ما يريد>> (الطوسي، 1960، صفحة 56) وهو <<التصديق لله عز وجلفيما أخبر من قسم وضمان الكفاية وكفالتها، ومن سياقة الأرزاق إليهم، واتصال الأقوات التي قسمها في الأوقات التي وقتها، بتصديق تقوم الثقة به في قلوبهم، وتنتفي الشكوك عنهم

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والشبهات، ويصفو به اليقين، وتثبت به حقائق العلم إإنه الخالق الرزاق، المحي المميت، المعطي المانع المتفرد بالأمر كله>> (المحاسي، 2000، صفحة 122،121).

لقد انصب اهتمام الشيخ أبي مدين شعيب في مجال العقائد، واتّضح ذلك جليا في مصنف "العقيدة"، ويعالج فيه منهجه المميز التوحيد، والذات الإلهية والصفات مستمدا ذلك من العقيدة الإسلامية.

الخاتمة:

في نهاية المطاف، لا بأس من التذكير بأن الخطاب الشعري الصوفي يحيلنا إلى أن معاجمه الشعرية متقاربة في معظمها، ليس بين قصيدة وأخرى عند شاعر واحد معين فحسب، بل بين أغلب الشعراء المتصوفة. لذلك وجدنا استعمال الشيخ أبي مدين للغة استعمال صوفي محض مليء بالإشارات والرموز حتى أصبحت اللغة الصوفية لها عالم خاص بها لا يفهمها من لم يتصوف، فاعتبرت أسماؤها وحروفها عالم له مراتب وحقائق لا تدرك إلا بالكشوفات. ذلك لأن الصوفية في خطابهم يمثلون زمرة واحدة متجانسة من حيث التجربة والتعبير، ولو أن أبا مدين كان رائدا من رواد التصوف تجربة وتعبيرا، وكان من الأوائل الذين أسهموا في تشكيل القصيدة الصوفية بناء نمطيا معلومان يختلف عن تشكل القصيدة العربية التقليدية لاختلاف التجربة مخيالا وتعبيرا.

قائمة المراجع:

1. **المصحف الشريف**، برواية ورش عن الإمام نافع

– المصادر

2. **أبوحامد، الغزالي**.(**1969**).المنقذ من الضلال والموصل إلى ذي العزّة والجلال، ط 02،ترجمه إلى الفرنسية وقدّم له وعلّق عليه: فريد جبر. اللجنة اللبنانية لترجمة الروائع بيروت.

3. **أبو القاسم، القشيري**. (**1972**).الرسالة القشيرية. ج1، تحقيق عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف، مطبعة حسان: القاهرة.

4. **أبو القاسم محمد، الحفناوي**. (**1991**).تعريف الخلف برجال السلف. ج 01. منشورات الأنيس: سلسلة العلوم الإنسانية، موفم للنشر .

5. **السراج. الطوسي**، (**1960**). اللمع. تحقيق: عبد الحليم محمود وطهه عبد الباقي سرور. دار الكتب الحديثة بمصر.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

6. **عبد القادر ،الجيلاني، (د.ت).** الديوان– "القصائد الصوفية –المقالات الرمزية". دراسة و تحقيق: يوسف زيدان. منشورات إدارة الكتب و المكتبات.

7. **المحاسبي، (2000).**المسائل في أعمال القلوب والجوارح. ط 01. دار الكتب العلمية:بيروت، لبنان.

8. **المحاسبي، (2003).**الوصايا أو النصائح الدينية والنفحات القدسية، ط 1، دار الكتب العلمية: بيروت، لبنان

9. **ابن مريم (أبو عبد الله محمد بن أحمد)، (1986).** البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان. وقف على طبعه واعتنى بمراجعة أصله الشيخ محمد بن أبي شنب. ديوان المطبوعات الجامعية: الجزائر.

– المراجع باللغة العربية :

10. **أنور، عبد الرحمن. (1978).**آراء ونظرات في شطحات الصوفية. مكتبة الأنجلو المصرية: القاهرة.

11. **حميدي، خميسي. (2005).**مقالات في الأدب والفلسفة والتصوف. دار الحكمة: الجزائر.

12. **عبد الحليم، محمود. (1985).**أبو مدين الغوث، دار المعرفة القاهرة.

13. **محمد، مرتاض، (2004).**من أعلام تلمسان – مقاربة تاريخية فنية. منشورات دار الغرب للنشر والتوزيع: وهران.

14. **مختار، حبار. (2002).** شعر أبي مدين التلمساني الرؤيا والتشكيل، من منشورات اتحاد الكتاب العرب:دمشق.

15. **ميشال، زكريا. (1983).**الألسنية علم اللغة الحديث، المؤسسة الجامعية للدراسات: بيروت.

16. **يوسف، زيدان. (2002).** المتواليات "دراسة في التصوف"، منشورات دار الكتاب العربي: القاهرة، ط 02 .

17. **صلاح، فضل. (1988).** أساليب الشعرية المعاصرة، دار قباء للطباعة و النشر و التوزيع: القاهرة، (د. ط).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

18. **عاطف، جودة نصر.** (**1998**). الرمز الشعري عند الصوفية، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات: القاهرة، (د.ط).

19. **مصطفى، محمود.** (**د.ت**). رأيت الله ، دار المعارف: القاهرة/ بيروت، ط 3.

20. **مصطفى، يزيد الأفندي.** (**1978**). صور وتوهجات من الأدب الصوفي بين الحلاج والشيخ الأكبر، دار المعارف : القاهرة، ط 02.

-المراجع المترجمة :

21. **إمبرتو، إيكو.** (**1996**). القارئ في الحكاية، ترجمة:نطوان أبو زيد، المركز الثقافي العربي.

22. **وليم،رامي.** (**1987**).**المعنى الأدبي**، ترجمة:د.يونيل يوسف عزيز، دار المأمون: بغداد 1987.

-المقالات والدوريات

23. **أحمد، بوزيان.** (**د.ت**). " الأنا الآخر و الخطاب الصوفي، الهوية والاختلاف"، مجلة كتابات.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com